الكلمة حياة

فيفيان سمير - مصر

أمسك ببطاقة دعوة لخطبة زميلته فى العمل، وضعت على مكتبه منذ عدة أيام كان خلالها مسافرا. لم يصدق عينيه حين قرأ أسمها عليها، كيف حدث هذا ومتى حدث؟ كيف لم يعرف ان هناك أحدا فى حياتها؟ مستحيل أن تكون عرفته واتفقا على الخطوبة في خلال الأيام القلائل التى غاب فيها! أسرع يفتحها لعله يعرف أى شئ عن هذا الآخر الذى أغار بدون مقدمات على من كان يعتبرها مدينته، كاد يفقد وعيه حين سقطت عينيه على تاريخ الخطوبة، اليوم! ماذا يفعل؟ اين يجدها الان؟ بضع ساعات تفصله عن موعد فراق روحه.

أسرع يبحث عن أقرب صديقاتها ليسألها فلم يجدها، لابد أنها معها، الهواتف لا أحد يجيب، أخذ عنوان منزلها من بياناتها الشخصية وأندفع طائرا إلى هناك، دق جرس الباب بجنون. لا يعلم من هذا الذى فتح له الباب ولا يدرى ماذا يقول له وما الحجة المنطقية التى تستدعى حضوره بهذا الشكل وفى هذا الميعاد الغير مناسب على الأطلاق، لم يفكر فيما فعل. بعد دقائق من الصمت والارتباك واندهاش أخو العروس الذى كرر سؤاله عدة مرات عن من يكون الزائر الغريب، نطق اخيرا ليخبره أنه زميل العروس واضطر للحضور لأمر يخص العمل لأن العروس لا تجيب هاتفها والأمر لا يحتمل التأجيل. حاول أخيها مهاتفتها أكثر من مرة لكنه فشل أيضا، فأجاب الزائر أن العروس فى مركز التجميل وللأسف لا يستطيع

الذهاب إليها لأنه يستقبل الأقارب والأصدقاء ولا يصح أن يترك المنزل الآن لكنه سيعطيه العنوان.

أسرع يسابق الزمن ليلحق بها قبل أن تغادر المكان. قلبه يسبقه إليها يكاد يتوقف، دقاته تصم أذانه عما ومن حوله، الاف الكلمات تتصارع داخله، مشاعر مختلطة ثائرة تعصف به وتمزقه لوم عتاب غضب، لا يدرى من أين يبدأ، ماذا يقول لها؟ كيف تفعلين بى هذا الجرم؟ كيف طاوعك قلبك ذبحى بسكين فراقك؟ تعرفين أنى أحببتك يوم وقعت عينى عليك لأول مرة، قلتها لك الاف المرات وإن لم تنطقها شفتاى، قرأتك كل قصائد العشق والهوى، سبحت باسمك ليل نهار، سمعت نداء عينيك بأسمى غناء، غزلت أيامى ثوب فرحك كيف تمزقيه؟ أسكنتك قصور أحلامى كيف تلقى بى خارج مدائنك؟ بدونك أنا لاجئ بلا وطن بلا هوية بلا حياة.

وصل إلى المكان وأخذ يلتهم درجات السلم صاعدا وإذا به يقف أمامها خارجة فى قمة جمالها وروعة طلتها. وقف متقطع الأنفاس، يتصبب عرقا، صامتا، نعم صامتا لا ينطق ببنت شفة. أذهلها حضوره وبهذا المنظر الذى يرثى له، أخذت تنظر إليه منتظرة أن يتفوه بأى كلمة. صرخ قلبها غاضبا حزينا حتى بعد أن أتيت إلى هنا ستقف صامتا! الم تكتفى صمتا؟ نطقت عيناك منذ لقائنا الأول وسمعتها، حاصرانى بقصائد ومعلقات فصدقتها، ناديانى فأجبتها، وانتظرت أن تتكلم فصمت وصمت وصمت. لم أدرى إن كان ما وصلنى حقيقة أم وهم من نسج

خيالى. ارهقتنى حيرتى فابتعدت، وجاء من لملم الجرح، واثقا، ناطقا بأعلى صوته، أحبنى بكل اللغات والكلمات، ملأ الكون ضجيجا بأسمى، خطف القلب عنوة لم يتسوله، وأنت مازلت سجين قضبان الصمت.

عشقت عشقك لى عشقت الحب الذى تداريه

عشقت حلمك الذى أنا كل ساكنيه

فإذا بك عنى تخفيه وهما فى خيالك تناجيه

سرابا لا تقوى أن تحميه وجعا تستمتع وحدك به

لا لست سرابا خلفه تتيه ولا حلما تجرحه ولا تداويه

بل قلبا خبأتك فيه ولم أعلم أنى أنا من ادميه

حبك بلا حياة حبك مسجى لا نبض فيه

ارتفع صوت الزغاريد معلنا قدوم العريس كامل البهاء، مبتسما انحنى يقبل يد عروسه وتأبط ذراعها وسط مظاهر الفرح وأصوات التهانى، خاطفا اياها لنور الحياة، واطئا ماضيا عاجزا فضل أن يظل متواريا خلف ستائر ظلماه.